

(7) شرح كتاب وصية ابن قدامة المقدسي (تشبيه ابن قدامة

للدنيا وأهلها) - لفضيلة الشيخ أ.د سعد الخثلان

سعد الخثلان

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى الله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين. اما بعد فهذا الدرس سيكون في التعليق على وصية الامام ابن قدامة رحمة الله - 00:00:06

وتكلمنا عن هذه الوصية بالامس وعن المؤلف ووصلنا الى المثل الذي ضربه المؤلف ومثل عظيم. قال واني خطر لي ان امثل هذه الدنيا واهلها يعني اراد المصنف ان يمثل هذه الدنيا واهل الدنيا بمثال عجيب - 00:00:26

قال كمثل اهل سفينة القتهم الريح في جزيرة في البحر. اهل السفينة القتهم الريح في البحر. في جزيرة. هذه الجزيرة فيها معادن الجوادر كلها النفيسة وغير النفيسة فيها الياقوت والزمرد وزبرجد واللؤلؤ والمرجان - 00:00:56

وفيها ايضا من المعادن غير النفيسة مثل العقيق والشيح وغير ذلك. وفيها حجارة وفيها النفيس وغير النفيس. قالوا وفيها انها وبساتين ايضا الجزيرة هذه فيها حمى الملك السلطان. قد حد له حدودا واحاط عليه حائطا. وقال لا احد - 00:01:26

قد يأتي لهذا الحناء في خزائن الملك واماء وولدان نزل اهل السفينة في هذه الجزيرة وقيل لهم مقاومتكم في هذه الجزيرة يوم وليلة فقط. يوم وليلة ثم ترحلون. اغتنموا مدتكم القصيرة - 00:01:56

فيما امكن في اخذ الجوادر الكثيرة من هذه الجزيرة. الحازمون اسرعوا الى تلك الجوادر ينتقون منها ويحملون الى مخازنهم في السفينة ويجدون ويجهدون. ويعلمون ليل نهار فاذا تعبوا تذكروا قدر تلك الجوادر وكثرة قيمتها وقصر اقامتهم في تلك الجزيرة وانهم - 00:02:16

اما قريب الراحلون منها فرفضوا الراحة وتركوا الدعا واقبلوا على الجد والاجتهد. وان عرض لهم او تذكروا ذلك فذهبت عنهم لذلة النوم وتمثلو بقول القائل عند الصباح يحمد القوم يجعلوا طيلة الوقت يجمعون هذه الجوادر النفيسة. اخرون من الذين نزلوا على - 00:02:46

الجزيرة اخذوا من الجوادر شيئا واستراحوا في وقت الراحة وناموا وقت النوم. فرقة لم يتعرضوا للجوادر اصلا اثر النوم والراحة والفرجة. ايضا بعضهم اقبل على بناء المساكن والقصور والدور على هذه - 00:03:16

الجزيرة معا المقام فيها يوم ونصف يوم وليلة مقام فيها يوم وليلة فقط قوم اقبلوا على جمع الحجارة والصدف والاشياء غير النفيسة قوم تركوا هذا كله اقبلوا على اللعب واللهو وتشاغلوا باللذات وبالسواليف وسماعة - 00:03:36

حكايات وقالوا درة منقودة خير من درة موعودة يعني شيء مقدم احسن من شيء مؤجل موعود به. وهناك ايضا فرقة من هؤلاء الذين نزلوا على هذه الجزيرة انتهكوا حمى الملك. ولم يجدوا بابا - 00:04:06

كسرموا الباب وفتحوا خزائن الملك وانتهبا منها وعيثوا بجواريه وقالوا ليس لنا دار غير هذه الدار مع انه قيل لهم اقامتكم فقط يوم وليلة. تم بعد ذلك قيل الرحيل نودي بالرحيل - 00:04:26

فارتحلوا عند الرحيل الذين حصلوا جواهر رحلوا مرتبطين فرحين مستورين الذين فرطوا في جمع الجوادر اشتد جزعهم على تفريطهم وقلة زادهم. الفرقة الثالثة كانوا اشد جزا واعظم مصيبة وقيل لهم لا ندعكم حتى اه نحملكم ما اخرجتم من خزائن الملك في اعناقكم - 00:04:46

فارتحلوا على تلك الصفة حتى وردوا على مدينة الملك العظمى. فنودوا في المدينة. ان قد قدم في معادن الجوادر فتلقاهم اهل المدينة وتلقاهم الملك وجنوده واستنزلوه. وقيل لهم اعرضوا بضائعكم. اما اهل الجوادر النفيسة - 00:05:26

فعرضوا بظائعهم حمده الملك اثنى عليه وقال انتم خاصتي واهل مجالستي ومحبتي. لكم ما شئتم من كرامتي جعلهم ملوكا لهم ما يشاؤون ان سألاوا اعطوا ان شفعوا وان ارادوا شيئا حصل لهم. فاخذوا القصور - 00:05:46

الدور والدور والبساتين وركبوا المراكب. وصاروا ملوكا ينزلون في جوار الملك يجالسوه اليه ويزورونه الفرق الثاني قيل اين بضاعته؟ اين بضاعتهم؟ قالوا ما لنا بضاعة. قيل كنتم في ميعاد الجواد - 00:06:06

انتم وهؤلاء في موضع واحد؟ قالوا نعم لكن اثروا الراحة والدعة بعضهم قال لا نحن اشتغلنا ببناء الدور والمساكن. وقال اخرون اشتغلنا بجمع الحصى والزلف والاشياء غير النفيسة تبا لكم اما علمتم بقصر اقامتكم ونفاسة الجواد التي عندكم؟ وان مقامكم في هذه الجزيرة قصير - 00:06:26

اما ايقطكم الايقاظ اما واعظمكم الوعاظ؟ قالوا بلى لكن علمنا فتجاهلنا واقطنا فتناومنا. فعظوا ايديهم ندمان وبكوا على التفريط دما. اما الفرقة الثالثة الذين انتهكوا حمى الملك فجاءوا يحملون اوزارهم على ظهورهم - 00:06:56

يائسين مبلسين حيارى زلت بهم القدم وحل بهم الندر. فامر الملك بسجنهن ومعاقبهم فجرعوا اليه وقد ايقنوا بالعذاب. وجل امرهم عند العتاب. فامر الملك ايقاع العقوبة الشديدة عليهم لانهم عثروا بحمل الملك وهم قد نهوا عن ذلك. يقول ابن قدامة - 00:07:16 هذا تقريب مثال الدنيا. ومن عمل فيها بالطاعة ومن استوعبها بالتفريط والاضاعة فهوئاء الذين لما نزلوا في هذه الجزيرة يوم وليلة طيلة الوقت يجمعون الجوادر النفيسة هؤلاء مثلهم كمثل الذي يعمل صالحا في هذه الدنيا. يجمع جواهر حسنات كل يوم حسنات. هذى اعظم - 00:07:46

من الجوادر حسنات من صيام وانافلة ومن صلوات ومن زكوات ومن اذكار فعندهم هذه النفاسن قوم غالب عليهم الكسل والراحة يعني يعملوا لكن اعمال قليلة وقم تركوا ذلك كله انشغلوا بالله وبالله وبالله والتفاهات يقوم تجرؤوا على المعاصي - 00:08:16 تجرأوا شرب الخمور والزنا ونحو ذلك. مع ان مدة مقامهم في الدنيا قصيرة هذا مثل الدنيا. هذا قرره الموفق ابو دانة رحمه الله. نحن الان ايها الاخوة في هذه الدار - 00:08:46

كما مر معنا بالامس في دار يتمناها الاموات. نحن في مرحلة من اخطر المراحل وهي مرحلة العمل الذي يعمل صالحا في هذه الدنيا يسعد السعادة الابدية. والذي يضيع عمره في لهو وفي غفلة وفي لعب وفي - 00:09:06

يندم الندم العظيم. وحياتك ايها الانسان فرصة واحدة غير قابلة للتعويض. ليست مجال للمغامرة والمخاطرة ان نجحت في هذا الاختبار العظيم الذي نحن فيه سعدت السعادة الابدية. وان فشلت فيه خسرت الخسارة العظيمة - 00:09:26 مهما حققت نجاحات في الدنيا. تبقى في النهاية خاسر. فالنجاح الحقيقي والفوز الحقيقي انما هو في طاعة الله عز وجل. فكل يوم تطلع شمس واعتبر ان هذا اليوم هبة من الله. لكي تعمل - 00:09:46

قل هذا اليوم سائز فيه بالاعمال الصالحة. اكثر من الصلة من الاعمال الصالحة الصدقات الاذكار تلاوة القرآن هذه هذه هي النفاسن التي يرتبط بها الانسان عندما يلقى ربه عز وجل فانظر الى هذا المثل - 00:10:06

البديع الذي ذكره ابن قدامة فالناس في الدنيا كهؤلاء الذين في هذه الجزيرة قيل لهم مدة اقامتكم يوم وليلة؟ الناس في الدنيا مقاومة مدة اقامة قصيرة جدا. فالذين جمعوا الجوادر مثل الذين يجمعون الحسنات والاعمال الصالحة. الذين فرطوا مثل الذي يفرطني في الدنيا - 00:10:26

الذين انتهكوا حمى الملك عاقبهم الملك مثل الذي يتجرأون على حرمات الله عز وجل. قال رحمك الله في الكون من الفرقة الاولى الذين استوعبوا الساعات بالطعام ولم يفرطوا في شيء من الاوقات - 00:10:46

الزم قلبك الفكر في نعم الله لتشكرها. وفي ذنبك ل تستغفرها وفي تفريطك لتندم وفي مخلوقات الله وحكمه لتعرف عظمته وحكمته. وفيما بين يديك ل تستعد له. او في آآ حكم شيء تحتاجه الى تعلمه - 00:11:06

والزم لسانك ذكر الله ودعاه واستغفاره وقراءة القرآن او علم او تعلم او امر بمعرفه او نهي عن منكر او اصلاح بين الناس. هذه اعمال صالحة عظيمة. فالذكر من افضل الاعمال. الاستغفار كذلك تلاوة القرآن. القرآن اشرف الذكر - 00:11:26

تعلم العلم وتعليم العلم الناس. الامر معروف والنهي عن المنكر. قال او اصلاح بين الناس. الاصلاح بين ناس يا اخوانى هذا من الاعمال الصالحة العظيمة التي اجرها عظيم. يقول الله عز وجل لا خير في كثير من نجواهم الا - 00:11:46

من امر بصدقه او معروف او اصلاح بين الناس. ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله اكمل الاية فنؤتيه اجرا عظيما. وفي الحديث الصحيح الذي اخرجه الترمذى وغيره بسند صحيح. يقول النبي صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بدرجة هي اعظم من درجة الصيام - 00:12:06

والصلاوة والصدقة اصلاح ذات البين. فان فساد ذات البين هي الحالقة. لا اقول تحلم الشعر ولكن تحلق الدين. هذا حديث صحيح. صححه الترمذى وغيره. درجة اصلاح ذات البين اعظم الصلاة الصيام ومدرجة الصدقة. فيوفق الانسان لهذا العمل هذا عمل صالح عظيم يكفينا قوله عز وجل - 00:12:36

سوف نؤتيه اجرا عظيما. هذه المعانى يغفل عنها بعض الناس. ربما يجد بعض الناس القطيعة داخل بيته ولا اسعى للاصلاح. ربما يجد ان ابنته متخاصمة مع زوجها سلبيا ما ما يسعى للاصلاح بينهم او اخته - 00:13:06 ولا يسعى للاصلاح او حيرانه او ارحامه. السعي للاصلاح هذا من الاعمال الصالحة العظيمة قال واشغل جوارحك بالطاعات وليكن من اهمها الفرائض في اوقاتها على اكمل احوالها ثم ما يتعدى نفعه الى الخلق وافضل ذلك ما نفعهم في دينهم كتعليمهم الدين وهدایة من الصراط المستقيم. احب الاعمال الى الله الفرائض - 00:13:26

يقول الله تعالى في الحديث القدسى ما تقرب الي عبدي باحباب ما افترضت عليه رائض هي احب الاعمال الى الله. سواء بالنسبة للصلاوة او الزكاة والصيام او الحج او غير ذلك - 00:13:56

وبعد الفرائض النوافل ولا يزال عبدي يتقرب الي النوافل حتى احبه. طيب قال من اهمها الفرائض النوافل ايضا فيها اجر المؤلف - جعل النوافل على مرتبتين المرتبة الاولى قال ما يتعدى نفعه الى الخلق اي ان العمل الذي نفعه متعد افضل واعظم اجرا من العمل - 00:14:16

الذى نفعه قاصر على صاحبه. فمثلا ما نفعه متعد طلب العلم طيب لو ان رجلا قال ايهما افضل ان احضر مثل هذه الدروس؟ او انى ابقي في البيت اقرأ قرآن - 00:14:46

تطبيقا لكلام ابن قدامة ايهما افضل؟ نعم. حضور الدرس لماذا؟ لأن نفع متعدى ولذلك ذكر النووى وغيره ان الاشتغال بطلب العلم الشرعي افضل من الاشتغال بنوافل العبادات. فالنفع متعدى افضل الانسان الذي عنده تعلم علم دعوة الى الله ايضا في المجال الخيري في المبرات. هذا هذا - 00:15:06

اعظم اجرا من الانسان فقط الذي آلا يعمل الاعمال الصالحة لكنك مقاصل مع صاحبها. يبقى في المسجد يقرأ القرآن يذكر الله فقط من في المسجد لا الذي نفعه متعد افضل. الذي يشتغل بالتعليم بالدعوة بالتوجيه بالارشاد. بالاعمال الخيرية هذا اعظم اجرا وثوابا - 00:15:36

طيب العمل المتعدى المؤلف يقول ايضا اجعلها على مرتبتين. يقول افضل ذلك يعني افضل العمل المتعدى ما نفعهم في دينهم. يعني تعلم العلم مثلا هذا افضل من العمل في المبرات. لانه ما نفع في الدين اعظم - 00:15:56

ما نفع في الدنيا وهذا يدل على ان تعليم العلم والدعوة الى الله عز وجل انها من اجل وشرف واسمى اعمال كما قال الله تعالى ومن احسن يعني لا احد احسن قولا من دعا الى الله وعمل صالحا وقال ابني ابني مسلم - 00:16:16 فهنيئا لمن بذل من وقته لتعليم الناس. ودعوته من الله عز وجل. هذه الدرجة هي افضل وشرف واسهل - 00:16:36